أطرافه، ويسير محتمياً بالجدران في الأزّقة الضيقة المظلمة، ينظر ذات اليمين وذات اليسار والى الوراء، كأن ألوف العيون تلاحقه، وتكاد تفترسه لبشاعة ما عمل.

لم يكن يهوذا تجسيد الخطيئة واللعنة، ولم يكن شيطاناً في صورة بشر، كما تصوره بعض الكتب. كان إنساناً مثلنا، ذا إرادة حرة، وكما في كل إنسان نزعات سامية تدفعه إلى العلى، وميول فتنة تجرّه إلى الأسفل. وإذا كان المعلم قد اختاره ليكون رسولاً وقرّبه إليه، فلأنه وجد فيه ولا ريب، كما وجد في زملائه من الذين اختارهم، شيئاً من الرأسمال النفسي، وشيئاً من الاستعداد لقبول الكلمة والدعوة والعمل المثمر في ملكوت الله. وشأن سواه من الناس، لم تكن السقطة الكبرى التي تحطّم فيها، تجربة مفاجأة داهمته فأعمت بصيرته وشتّتت قواه، فاستسلم لها على غير وعي.

بين الميول والشهوات التي تغلي في أعماقنا وتجرّ حياتنا إلى الأسفل، هناك ميل يختلف باختلاف الأشخاص ويتميّز بسطوته في توجيه حيلتنا. هو النزعة الأساسية في ما يدعوه بولس الرسول، إنسان الشهوة والخطيئة فينا. وهو إذا لم تقهره مقاومة عنيفة لما يحرّكه فينا وما يدفعنا إليه، هوى بكياننا الأدبي.

لقد كانت محبة المال في نفس يهوذا الاسخريوطي والتعطش إلى الجاه، قد وُجد لهما غذاء في أحلامه بالملكوت كما كان ينظر إليه هو ومحيطه أخذا يتسعان مدى وعمقاً في نفسن حتى كان يوم لم يعد فيه للأوضاع الروحية الأولى في حياته الرسولية أي اثر.

وقد أشار المعلم إلى ذلك سنة قبل الخيانة، يوم غادره الكثير من الأتباع إثر حديثه في خبز الحياة، فاختلى بالإثني عشر بعد أن صرح بطرس باسم الجميع بتعلّقهم به وشهد لسموّ تعليمه، قال: " ألم أكن أنا قد اخترتكم انتم ألاثني عشر؟ ومع ذلك فواحد منكم هو شيطان! " وفي نيته أن ينتبه يهوذا إلى ما بلغ إليه من انهيار روحي، ويوقظ بقية ضمير ما زال في احتضار، فينتفض ويعود إلى الصواب. خرج يهوذا الاسخريوطي من محفل رؤساء الكهنة والفريسيين واخذ يترقب فرصة سانحة ليسلّم يسوع.

ترتيلة العدد

ما أحب مساكنك

ما أحب مساكنك يا رب الجنود تشتاق وتذوب نفسي إلى ديار الرب ويرنّم قلبي وجسمي للإله الحي.

العصفور وجد له مأوى واليمامة عشاً تضع فيه فراخها. من لي بمذابحك يا رب الجنود ملكي والهي. طوبى لسكان بيتك فإنهم لا يبرحون يسبّحونك.